غزوة بدر الكبرى

الدروس والعبر

د. خالد أحمد عبد الساتر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

غزوة بدر الكبرى [1] الدروس والعبر

(إن غزوة بدر من معارك الإسلام الفاصلة في التاريخ الإسلامي التي يقف المرء عندها طويلًا لما بها من الدروس، والعبر، والفوائد، والأحكام مما يحتاجه المسلمون في مجالات حياتهم الاجتماعية، والعلمية، والثقافية، ومما تحتاجه الدولة الإسلامية في تعاملها مع الدول المحيطة بها من الكفار، ومما يحتاجه المسلمون في طريق الدعوة إلى الله، وغير ذلك من المجالات الكثيرة)[2]، ومنها:

- **أن الأمور كلها بيد الله هو المدبر، والمخطط، والمريد، ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وعسى أن تكرهوا شيئًا، ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا:** فكونوا على ثقة أن اختيارَ اللهِ لكم خيرٌ من اختياركم لأنفسكم، فإن العبد إذا أيقن أن المكروه قد يأتي بالمحبوب والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن يوافيه الشر من جانب الخير، و لم ييئس أن تأتيه الخير من جانب الشر؛ لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد، فقد أراد المسلمون عير قريش، وأراد الله المعركة؛ ليحق الحق ويبطل الباطل، **قال تعالى:** ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

---

1 هي بدر الكبرى (لان هناك بدر الصغرى) ومن أسمائها أيضًا: بدر القتال (لأنها أول معركة حقيقية وقع فيها القتال بين المسلمين وأعدائهم)، وبدر البطشة (لان الله بطش فيها بأعدائه)، وبدر الفرقان (لان الله فرق بها بين: الحق والباطل، أو فرق بها بين تصورين لعوامل النصر والهزيمة أو فرق بها بين عهدين عهد المصابرة والاعداد والانتظار وعهد القوة والمبادرة والحرب). وبدر تقع جنوب غرب المدينة وبينها وبين المدينة 153 كم وبينها وبين مكة 343 كم نقلا عن مرويات غزوة بدر، أحمد محمد باوزير ص 78.

2 د أمين بن عبدالله الشقاوي كتاب حدث غير مجرى التاريخ ص 310.

- فإفلات العير كانت خيرًا لهم من الإمساك بها لعدة أسباب منها[3]:

1- وقوع العير في قبضة المسلمين كان لابد أن يحمل قريشًا على الاستماتة في الدفاع عنها واستردادها؛ حيث كانت أعظم عير أعدتها قريش[4]، فيها الف بعير، فلم يبقَ رجل أو امرأة استطاع أن يسهم فيها إلا وساهم.

2- نجاة العير أدت إلى تفكك جيش قريش؛ فرجع بني زهرة، وتردد جماعة آخرين.

3- أراد الله لعباده قصدًا أرفع وغاية أنبل وأليق بوظيفتهم التي خلقوا من أجلها، ألا وهي الدعوة للإسلام والجهاد في سبيل الله.

4- أن لقاء قريش، والانتصار عليهم في بدر أهم للإسلام ومستقبله من غنيمة قافلة تجارية.

أحيانًا يحملك الله حملًا إلى ما هو خير لك، قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: 5-6].

فقد فُرِضت هذه الغزوة على المسلمين فرضًا، وفُوجِئوا على غَير استعدادٍ، وأرادوا العير، وأراد الله أن يصطفيهم على غيرهم من المؤمنين ليكونوا في أهم وأعظم حرب في الإسلام.

النصر من عند الله عز وجل أولًا وأخيرًا: قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10]، وأن الأسباب مهما عظُمت فليست هي العامل الأصيل فيه، فقد توجد الأسباب ولا يتحقق النصر، ولذا يجب على المسلمين أولًا: أن تكون عقيدتهم أن النصر من عند الله، وأن

3 جمال حماد، كتاب غزوة بدر.

4 قدرت قيمة البضائع التي تحملها القافلة بحوالي ٥٠ ألف دينار.

لا ينسبوا النصر لأي سبب من الأسباب مهما كان، ولا ينسبوه لأنفسهم، **قال تعالى**: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 17].

ثانيًا: وجوب الأخذ بالأسباب.

للنصر عوامل وأسباب منها:

ضرورة الإعداد المسبق والتجهيز والأخذ بالأسباب (= التعبئة الجيدة):

**** فقد خاض المسلمون الحرب بخطة مدروسة ونظام دقيق منها:**

-السرية والكتمان: - خروجه - صلى الله عليه وسلم - من المدينة سرًا وكتمانه خبر الجهة التي يقصدها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج - صلى الله عليه وسلم - فتكلم فقال "إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة فقال لا إلا من كان ظهره حاضرًا"[5].

- فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند خروجه بالأجراس التي كانت تعلق في أعناق الإبل ان تقطع)[6]؛ حتى لا تصدر صوتًا فيرشد إلى مكان الجيش أو تحركاته[7].

- قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للشيخ الذي سأله عن جيش محمد وجيش قريش "نحن مِن ماء".

ثم انصرافه مباشرة، فلو وقف لاستفسر منه الشيخ عنهم وعن المقصود بالماء.

---

5 رواه مسلم 1901.

6 رواه أحمد 25166، البداية والنهاية لابن كثير ج 5 ص 67.

7 محمد باشميل، كتاب غزوة بدر الكبرى ص 126، مرويات غزوة بدر، أحمد محمد باوزير ص 100.

- الاستطلاع في الحرب.

1- أرسل طلحةَ بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله عنهما يتحسَّسان أخبار العير قبل خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة بعشر ليالٍ.

2- وبعث - صلى الله عليه وسلم - عدي بن الزغباء الجهني وبسبس بن عمروالجهني إلى ماء بدر، وهناك سمعا جاريتين تقول إحداهما لصاحبتها إن اتت العير غدًا أو بعد غدٍ؛ فسوف أخدم لهم ثم أقضيك الذي لك علي، وبذلك استطاعا أن يُحددا الوقت المتوقَّع لوصول العير إلى بدر.

3- وحين نجت العير، وخرجت قريش، خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه أبو بكر، وحدَّد الموقع الذي وصل إليه جيش قريش من خلال لقائهم مع الشيخ الأعرابي قيل يسمى سفيان الضمري، فسأله عن قريش وعن محمَّد وأصحابه وما بلَغه عنهم، فقال الشيخ :(لا أخبركما حتى تخبرني ممن أنتم)، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا أخبرتَنا أخبرناك"، قال الشيخ :(فإنه قد بلغني أن محمدًا وأصحابه خرَجوا في يوم كذا وكذا؛ فإن كان صدَق الذي أخبرني فهُم اليوم بمكانِ كذا وكذا -للمكان الذي به رسولُ الله وأصحابُه - وبلَغني أن قريشًا خرَجوا في يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدَقني فهُم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش)، فلما فرَغ مِن خبره قال :(ممن أنتما؟)، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "نحن مِن ماء"، ثم انصرف، فقال الشيخ: (ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟)، وفي إجابة النبي - صلى الله عليه وسلم - تورية صادقة فكل مخلوق من ماء. وفيها جواز استعمال المعاريض للتخلص من الكذب[8].

8 رياض الصالحين للنووي بشرح الشيخ ابن عثيمين ج 4 ص 134.

4- وحين بعَث عليٌّ بن أبي طالب، والزبير وسعد بن أبي وقاص، فاستاقا الغلامين مِن قريش[9]، فقال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أخبِراني عن قريش"، قالا: (هما والله وراءَ هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى)[10]، فقال لهما - صلى الله عليه وسلم -: "كَمِ القوم؟ " قالا: (كثير)، قال: "ما عدتهم؟" قالا: (لا نَدري)، قال: "كم يَنحَرون كلَّ يوم؟" قالا: (يومًا تسعًا، ويومًا عشرًا) .فقال - صلى الله عليه وسلم -: "القوم فيما بين التِّسعمائة والألف"، ثم قال لهما "فمَن فيهم مِن أشراف قريش؟"، قالا: (عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البَختَري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خُويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزَمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونُبيه ومنبِّه ابنا الحجَّاج، و سُهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ودٍّ[11])، فأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الناس وقال: "هذه مكَّة قد ألقَت إليكم اليوم أفلاذ أكبادها"[12].

فأصبحَت الصورة كاملة لدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن العدوِّ وموقعه، وعدَدِه، وشخصياته.

- **جعلوا الماء معهم**: أشار - الحُباب بن المُنذِر - رضي الله عنه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن يتحوَّل مِن مكانه ويجعَل ماء بدر خلفَ معسكره؛ فيشرب المسلمون، ولا يَستفيد منه المشركون، وبذلك تمت اضافة سلاح آخر بيد المسلمين.

---

9 هما أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد.

10 العدوة هي جانب الوادي، والقصوى أي البعيدة.

11 قتل منهم: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البَختَري بن هشام، ونوفل بن خُويلد، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزَمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونُبيه ومنبِّه ابنا الحجَّاج. وأسر سهيل بن عمرو وأسلم ومات بالشام شهيدًا، وهو خطيب قريش.

12 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 265، السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 189.

– **جعلوا الشمس خلفهم**، وفي ذلك استفادة من الظروف البيئية المحيطة أثناء قتال العدو[13].

– **الإبتكار في الخُطط العسكرية (اسلوب الصف)**: قاتل المسلمون في المعركة بأسلوب الصفوف، وهو أن يكونوا في صفين أو أكثر على حسب عددهم، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان، وتكون الصفوف المتعاقبة من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء، أما المشركين فاعتمدوا على أسلوب الكر والفر؛ الذي كان مشهورًا آنذاك، ويمتاز اسلوب الصفوف بأنه يُبقى بيد القائد دائمًا قوة احتياطية يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان؛ كأن يصد هجومًا مقابلًا للعدو، أو يضرب كمينًا لم يتوقعه، أو يحمي الأجنحة ثم يستثمر الفوز بالاحتياط عند الحاجة[14].

– **تقسيم الجيش إلى مجموعات**: نظَّم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الجيش فجعل اللواء وكانت راية بيضاء في يد مصعب بن عمير، وقسم أصحابه إلى كتيبتين؛ كتيبة المهاجرين وأعطى علمها وكان أسود لعلي بن ابي طالب، وكتيبة الأنصار وجعل علمها وكان أسود لسعد بن معاذ، وجعل على الميمنة الزبير بن العوام، وعلى الميسرة المقداد بن عمرو – وكانا هما الفارسين الوحيدين في الجيش–، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة[15]، وظلت القيادة العامة في يده – صلى الله عليه وسلم – كقائد أعلى للجيش الإسلامي. ثم ساروا في مجموعات فجعل في مقدمة الجيش مجموعة وفي مؤخرته مجموعة، ليحموا الجيش في الوسط.

–**أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابه حينما بدأ القتال الا يستعجلوا الرمي** فعن أبي أسيد عن أبيه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا "إذا

13 د .عبد الله محمد الرشيد :القيادة العسكرية، ص 453، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام

14 أركان حرب/ محمود شيت خطاب، كتاب الرسول القائد ص 41.

15 زاد المعاد لابن القيم ج 2 ص 85. واللواء العلم الكبير أما العلم الصغير فهو رايه.

أكثبوكم فعليكم بالنبل" [16]، وفي رواية "لا تحملوا حتى آمركم، وإن اكتنفكم[17] القوم فانضحوهم بالنبل، ولا تسلوا السيف حتى يغشوكم"[18]، وهذا يعني أن يؤخروا قذف السهام من الأقواس حتى يقترب الأعداء حتى تكون الإصابات مسدده مركزة، وهو نفس المبدأ الذي تستخدمه الجيوش الحديثة، ويعرف باسم – كبت النيران – ثم إن مقابلة العدو بوابل من السهام من مكان قريب يروع العدو ترويعًا شديدًا، ويجعل خسائره فادحة، بينما يطيش الضرب على مسافات بعيدة، ويكشف مواقع الرماة[19].

– اختيار المقاتلين المشهورين بالشجاعة، والفروسية ليكونوا في المقدمة:

جيش المسلمين، وأيضًا اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، ومنه اختيار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للمبارزين الثلاثة، مما يقوي شوكة المسلمين، ويعجل بنصرهم.

**** بينما خاض المشركون الحرب بغير خطة محددة ومعهم عوامل الفشل ومنها:**

–الغرور والتكبر والجبروت:

– لما سمع أبو سفيان بخروج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه أرسل إلى قريش ضمضم الغفاري ليخبرهم أن عيرهم في خطر، وبذكائه وخبرته غير الطريق المعتاد إلى طريق جديد بمحاذات الساحل، ونجا بالقافلة ثم أرسل إلى قريش قيس بن أمري القيس ليخبرهم أن تجارتهم قد نجت، وأخبرهم أنه لا داعي لملاقاة محمد وأصحابه، وليرجعوا إلى ديارهم، ولما سمع أبو جهل الخبر قال في غطرسة

16 رواه البخاري 2744.

17 اي اقتربوا منكم.

18 رواه أبو داود، نقلا عن مرويات غزوة بدر، أحمد محمد باوزير ص 214.

19 جمال حماد، كتاب غزوة بدر.

واستكبار وحقد وغرور: (والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم عليه ثلاثًا، ننحر الجزور، ونُطعم الطعام، ونسقي الخمر، و تَعزف علينا القيَان[20]، وتسمع بنا العرب، فلا يَزالون يهابوننا أبدًا)[21].

- وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يبدأ القتال أرسل إلى قريش عمر بن الخطاب رضي الله عنه برسالة فيها: "يا معشر قريش ارجعوا فإن يلي هذا الأمر مني غيركم أحب إلي من تلوه مني، وإن أليه من غيركم أحب إلي من أن أليه منكم"/ فقام حكيم بن حزام وقال: (قد عرض نصفًا فاقبلوه والله لا تنفرون عليه بعد ما عرض من النصف)، فقال أبو جهل: (والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم، ولا نطلب أثرًا بعد عين، ولا يعترض لعيرنا بعد ذلك أبدًا)؛ **قال تعالى:** ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [الأنفال: 47]، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: "اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادُّك[22]، وتكذِّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتَني، اللهم أحنهم الغداة".

-الماء مع عدوهم.

-الشمس أمامهم.

-أسلوب تقليدي الكر والفر.

* **النصر ليس بالعدد ولا بالعدة،** وإنما بمقدار الاتصال بالله الذي لا يقف أمامه قوة العباد، ليوقن المسلمون في عصورهم المختلفة أنهم يملكون في كل زمان ومكان القدرة للتغلب على أعدائهم مهما كانوا هم من القلة وعدوهم من الكثرة، شريطة أن تتحقق فيهم عوامل النصر الحقيقية، ولعل ذلك

20 الجواري المغنيون، ولقد أخذوهم ليحلوا ليال السهر، وليشجعوهم بالأغاني على القتال.

21 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 265، السيرة الحلبية ج 2 ص 162،

22 أي تعاديك.

واضحًا في هذه الغزوة حيث كان تعداد جيش المسلمين ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، وقد كانت الإبل سبعين بعيرًا وثلاثة أفراس، بينما جيش قريش الف رجل منهم ستمائة دارع، ومعهم سبعمائة بعير ومائة فرس عليها مائة دارع، ومئتان وستون درع آخر مع المشاة[23].

(فإذا انتصر الكفر، وكان للكافرين الصَّوْلة والغلبة على المؤمنين في بعض الأزمنة أو الأمكنة؛ فذلك لتخلف عوامل النصر الحقيقية؛ فيُعَاقب الله المؤمنين على تفريطهم في دينهم وما أمروا به لعلهم يرجعون، ويكون هذا ابتلاءً، وتمحيصًا للمؤمنين، وإمهالًا، واستدراجًا للكافرين).[24]

* **الله موهن كيد الكافرين: قال تعالى:** ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: 18].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59].

قال الحافظ بن كثير – رحمه الله – قوله تعالى [**ذلِكُم وَأَنَّ اللَّهَ موهِنُ كَيدِ الكافِرينَ**] هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر أنه أعلمهم تعالى بأنه مضعف كيد الكافرين[25].

ولابد أن يعرف المسلمون قدر انفسهم، وأنهم على الحق، وأن الكفر مهما علا وانتفش فكيده ضعيف، ومصيره إلى زوال.

* **دور الإيمان والروح المعنوية والقتال بهدف في تحقيق النصر: قال تعالى:** ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، (لقد أثبتت الحروب عبر التاريخ أن التسليح والتنظيم الجيدين والقوة العددية غير كافية لنيل النصر، ما لم يتحل المقاتلون بالمعنويات العالية)[26].

---

23 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 260.

24 ياسر منير، مقالة غزوة بدر دروس وعبر موقع طريق الإسلام eslamway.net

25 تفسير ابن كثير ج 2 ص 296.

26 أركان حرب/ محمود شيت خطاب، كتاب الرسول القائد ص 47.

** **فقد خاض المسلمون المعركة بإيمان قوي**، وعقيدة ثابته، وتفاؤل، وثقة بإحدى الحسنيين؛ إما النصر أو الشهادة، وكان حبهم للشهادة مساويًا، أو أكثر من حب المشركين للحياة، ولعل ذلك واضحًا في:

- **حرص الصحابة على الخروج** مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان الواحد منهم يراود أباه في الخروج، فهذا سعد بن خيثمة أراد هو الخروج مع رسول الله وأراد أبوه أيضا الخروج — وكان لابد لأحدهما أن لا يخرج ليراعي شئون الأسرة — فلما يجدا إلا أن يستهما فكان الخروج من نصيب سعد فقال له أبوه (آثرني بها يا بني)، فقال سعد: (لو كان غير الجنة لآثرتك بها، إني والله لأرجو الشهادة في يومي هذا).

بل حرصت النساء والأطفال على الخروج معه - صلى الله عليه وسلم - فهذه أم ورقة بن نوفل رضي الله عنها تقول: (يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك امرض مرضاكم لعل الله يرزقني الشهادة)[27]، وهذا عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان عمره ستة عشر عامًا كان يتوارى في الناس عن عيون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لا يرده لصغر سنه[28]، وكان يقول (إني أرغب في الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة)[29].

وصدق الله إذ يقول: ﴿ **مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴾ [الأحزاب: 23].

- **تعليقات الصحابة على استشارته – صلى الله عليه وسلم –** ومنها قول سعد كما سبق.

27 كان الصحابة يسمونها الشهيدة، ولقد توفيت شهيدة في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

28 سميح عاطف الزين، كتاب خاتم النبين محمد صلى الله عليه وسلم، ورد النبي من كان سنه أقل من ستة عشر عاما ومنهم اسامة بن زيد وعبدالله بن عمر وزيد بن ثابت وزيد بن الأرقم والبراء بن عازب ورافع بن خديج وأسيد بن حضير.

29 استشهد في هذه المعركة، السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 251.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به؛ أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يدعو على المشركين فقال لا نقول كما قال قوم موسى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا} [المائدة: 24]، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - أشرق وجهه وسره يعني قوله[30].

- **شجاعتهم في المعركة**: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما بدأت المعركة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه"، فدنا المشركون، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض" قال: فقال عمير بن الحمام بن الجموح: (يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض)، قال: "نعم"/ قال بخ بخ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما يحملك على قولك بخ بخ"، قال لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها قال "فإنك من أهلها"، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[31].

وعن عبد الرحمن بن عوف أنه قال بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار (هما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء)، فغمزني أحدهما فقال يا عم هل تعرف أبا جهل قال قلت نعم وما حاجتك إليه يا بن أخي، قال أخبرت أنه يسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال مثلها، قال فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال فابتدراه فضرباه بسيفهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى

30 رواه البخاري 3736.

31 رواه مسلم 1901.

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبراه، فقال أيكما قتله، فقال كل واحد منهما أنا قتلت، فقال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله[32].

أما الكفار فقد كانوا منقسمين بين مؤيد للحرب ومعارض، خاصة بعد أن أفلتت العير فصدق قول الله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 96].

– وكان أمية بن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام قد استقوا بالأزلام فخرج لهم القدح المكتوب عليه لا تفعل، فخافوا على أنفسهم من القتل، وعزموا البقاء في مكة لكن لم يزل ورائهم أبو جهل وعقبة بن معيط والنضر بن الحارث حتى أرغموهم على الخروج[33].

وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم الْمَدِينَةَ وكان قد قال له ذات مرة لقد سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول أنهم قاتلوك (أي المسلمين) قال بمكة قال لا أدري[34]، قال والله ما كذب محمد، وكاد أن يحدث في ثيابه فزعًا، فلما استشار زوجته أم صفوان، أشارت عليه بعدم الخروج لكن عقبة بن معيط أخذ يعايره ويقول له استجمر يا أبا علي؛ فإنما أنت من النساء، فغضب أميه ثم قام فلبس درعه وخرج[35].

32 رواه البخاري 3766 ومسلم 1752.
33 السيرة الحلبية ج 2 ص 160.
34 رواه البخاري 3734.
35 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 259.

- ولما أفلت العير مشى حكيم بن حزام إلى عتبة فقال له: (يا أبا الوليد إنك كبير قريش والمطاع فيهم، فأمر الناس بالرجوع فقام عتبة وأمرهم بالرجوع فقال له أبو جهل إن له ولد مع المسلمين[36]، وقد انتفخ والله سحره[37] والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد)[38].

الصبر والثبات عند لقاء العدو وترك التنازع من أعظم أسباب النصر:

1- **قال تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 147]، **وقال تعالى:** ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 125]، **وقال تعالى:** ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]، **وقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: 45]، **وقال تعالى:** ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [غافر: 51].

2- وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم"[39]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: "واعلم أنَّ الصَّبرَ على ما تكره خيرٌ كثيرٌ وأنَّ النَّصرَ مع

36 هو ابو حذيفة بن عتبه وأسمه هشيم وقيل هاشم رضى الله عنه، وكان دعاه أبوه للمبارزة فامتنع، ومات شهيدا في معركة اليمامة.

37 اي خائف ومرعوب من مواجهتهم.

38 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 269.

39 رواه البخاري 2804 ومسلم 1742.

الصَّبرِ وأنَّ الفرجَ مع الكربِ وأنَّ معَ العسرِ يسرًا"[40]، يقول الشافعي رحمه الله: (أصل الصبر الحزم، وثمرته الظفر)[41].

** أما المشركين فقد حصل بين قادتهم خلاف قبل بدء القتال كان سببًا لضعف العزائم والهمم، وبالتالي إلى الهزيمة، **قال تعالى**: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: 46].

* **الترابط والتراحم وإصلاح ذات البين وتوحيد الصف من أهم أسباب النصر، قال تعالى**: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 62-63]، **وقال تعالى**: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

وهذا ما حصل في غزوة بدر، فإن الصحابة على قلة عددهم وعُددهم مقابل عدوهم إلا أنهم توكلوا على الله، وقاتلوا فنصرهم الله، **قال تعالى**: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: 123].

* **حسن الظن بالإخوان**: وذلك في قول سعد بن معاذ للنبي – صلى الله عليه وسلم – عندما اقترح عليه فكرة العريش[42] قال سعد: (إنا قد خلفنا قومًا ما نحن بأشد حبًّا لك منهم، ولا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد ونية، ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاقٍ عدوًّا ما تخلفوا، ولكن ظنوا أنها العير).

---

40 رواه أحمد والترمذي وصححه الأرنؤوط وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 6806.

41 تاريخ دمشق 408/51.

42 خيمة يستظل بها، وقيل أن مكانها اليوم هو مسجد بدر.

* **الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين،** وقد ضرب النبي – صلى الله عليه وسلم – مثلًا لأصحابه عندما قال حذيفة بن اليمان وأبوه كان كفار قريش أخذونا فقالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرناه الخبر، فقال: "**انصرفا، نَفِي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**"[43].

* **الحرب حرب عقيدة،** ومن عوامل النصر الإيمان وتمني الشهادة: وكان قد قدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حبيب بن يساف وكان ذا بأس شديد، ولم يكن قد أسلم ولكن خرج لنجدة قومه من الخزرج طالبًا للغنيمة، فقال له – صلى الله عليه وسلم – "ارجع فإنا لا نستعين بمشرك"[44]، وتكرر رده – صلى الله عليه وسلم – له، ثم عرض عليه الإسلام في الثالثة، فأسلم رضي الله عنه، وكان عظيم الفناء في بدر وغيرها[45]. والحرب حرب عقيدة أيضا عند العدو فهو أيضا يخوض المعركة بعقيدة محاربة الإرهابين والمفسدين، فهذا أبو جهل يستفتح يوم بدر بقوله: (اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف، فأحنه الغداة)، وهو الذي قال لإيماء بن رحضة الغفاري بعد أن أهداه بعض جزائر الإبل، وعرض عليه أن يمده بالسلاح والرجال: (أن وصلتك رحم، وقد قضيت الذي عليك، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم، ولئن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة)[46].

---

43 رواه مسلم 1773.

44 رواه مسلم 1817.

45 السيرة النبوية الصحيحة للعمري ج2 ص 355.

46 ابن هشام ج 2 ص 261.

* **صدق الصحابة في موالاتهم للمؤمنين، ومعاداتهم للكافرين**[47]: وقد ظهر ذلك في غزوة بدر، عندما قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه، وقتل حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث أبناء عمهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، ولقد هم أبو بكر الصديق قتل ابنه عبد الرحمن – وهو أكبر أبناؤه – فمنعه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال له متعنا بنفسك، أما علمت أنك مني بمنزلة سمعي وبصري، ولقد أسلم عبد الرحمن في هدنة الحديبية، فكان يقول لأبيه لقد كنت أراك يوم بدر، فأعرِض عنك خشية أن أقتلك، فقال له أبوبكر ولكني لو رأيتك لقتلتك[48].

وإن أخوة الإيمان تعلو على أخوة النسب، فقد كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير[49] في صف المشركين، ثم وقع أسيرًا في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: (شد يدك به فإن أمه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك).

قيل فَسَأَلَت أمهُ عن أغلى ما فُدي به أسير فقيل أربعة آلاف، فبعثت بأربعة آلاف ففدته به[50]؛ **قال تعالى:** ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّــهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: 22].

---

47 د أمين بن عبدالله الشقاوي كتاب حدث غير مجرى التاريخ ص 326.

48 السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 227

49 أسلم فيما بعد رضي الله عنه.

50 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 307.

دور القائد في تحقيق النصر:

** **فقد خاض المسلمون الحرب تحت قيادة واحدة منظمة حكيمة، هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي كان يتمتع بالصفات المثالية للقائد ومنها:**

– **أن يكون قريبًا من جنوده،** يحثهم ويشجعهم على القتال، ويكثر من الدعاء لهم بالنصر، ويحرص على إزالة أسباب النزاع بينهم.

– **مساواته بجنوده ومشاركتهم الصعاب:** فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعَلِيٌّ بن أبي طالب وأبو لبابة يتعاقبون على بعيرٍ واحد، قال فكانت إذا جاءت عقبتهُ – صلى الله عليه وسلم – قالا نحن نمشي عنك، فقال "ما أنتُما بأقوى منِّي، ولا أنا بأغنى عنِ الأجرِ مِنكما".[51]

(عندما يَستوي القائد والجند في تحمُّل المشاقِّ والشدائد، أن يمشي القائد وجنده يركبون، يطلب الأجر والثواب بإخلاص وصدق، ويقاسمهم الآلام والمتاعب، فإن ذلك يدفعهم إلى التضحية والفداء)[52].

(إن الجماعة تؤثر زعيمها على أفرادها، لأنه يقع منهم موقع الرأس من الجسد، فكانوا يودون أن يعطوا رسول الله كل وسائل الراحة كي يفرغ نفسه لأعباء القيادة، لكن القائد يأبى أن يختص لنفسه بنصيب يزيد عنهم، ليضرب المثل الأعلى للجماعة كي يقتدى به، وهذا هو الطريق لإنشاء قاعدة عريضة من الأقوياء المتحررين من الأنانية والسلبية، والمتطلعين إلى مزيد من المسؤولية والتضحية)[53].

في الشريعة الإسلامية لا حصانة، ولا قداسة للرئيس دون مرؤوسيه في الأحكام.

---

51 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 261، ابن هشام 389/2، وحسنه الألباني في تخريج أحاديث كتاب فقه السيرة ص 167.

52 محمد بن مصطفى الدبيسي كتاب السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ص 487.

53 حسن فتح الباب، كتاب القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات ص 36.

– **شجاعة القائد**، وثباته في القتال مما يقوي عزيمة جنوده، ويشد من أزرهم، وهذا هو حال النبي – صلى الله عليه وسلم – في غزوة بدر، قال علي كرم الله وجهه: (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو أقربنا إلى العدو، وكنا إذا حمي البأس، ولقينا القوم، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم)[54].

– **عدالته حتى في أحلَك الظروف**: فعندما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يَصُفُ الجند، ويسوِّي الصُّفوف كان صدر سواد بن غَزِيَّة بن أُهيب بارزًا، فلامَس رسولُ الله بطنَه بعَصاه وهو يَقول:"استَوِ يا سواد"، فقال سواد: (يا رسول الله أوجعتَني فأقِدني من نفسك)، فكشف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن بطنه الشريف، وقال:"استقد يا سواد"، فما كان من سواد إلا أن انكبَّ على بطن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يقبِّله، فقال له – صلى الله عليه وسلم –: "ما حملَك على هذا؟"، فقال: (يا رسول الله، لقد حضَر ما ترى فأحببتُ أن يكون آخر أمري أن يُلامس جسَدي جسدَك)[55].

(إن القائد الذي لا يترفَّع عن جنده، بل يُمكِّنهم مِن أخذ حقِّهم كاملًا، ولا يجد غَضاضة من مكانته عندما يطلبه أحدٌ بحق، إنه القائد العادل المؤتمن الذي يَفديه الجنودُ بأرواحهم للإبقاء على حياته وقيادته)[56].

– **المشورة وعدم الاستبداد بالرأي**: (إن التشاور يوحِّد القلوب، ويجعل النفوس تبذل أقصى طاقاتها، ويشعرها أنها صاحبة قرار، ويجعل الأشخاص لا يتوانون عن بذل الجهد)[57].

---

54 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 279.

55 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 271، السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 195.

56 موقع الاستاذ الدكتور مصطفى مسلم مقال دروس من غزوة بدر الكبرى. Mustafamuslim.net

وعلى القائد ألا يكره جيشه على القتال، وهذا ما حدث في هذه الغزوة في المواضع التالية:

- **قبل خروجه لما علم بإقبال أبو سفيان بالقافلة**، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: (إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها[58]، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها[59] إلى برك الغماد[60] لفعلنا)[61]، ثم خرج - صلى الله عليه وسلم- مسرعًا، وأخذ معه مَن كان ظهرُه حاضرًا خوفَ فواتِ القافلة، و لم يَنتظر أهل العوالي - الذين يَسكنون ضواحي المدينة - لذا لم يَخرج جميع الصحابة ظنًّا منهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لن يلقى حربًا، وأنه سيستولي على القافلة، ويرجع سالمًا غانمًا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فقال: "إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا، فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة فقال لا إلا من كان ظهره حاضرًا"[62].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- "هذه عير قريش، فيها أموالكم، فأخرجوا اليها، لعل الله ينفلكموها"[63].

- **بعد أن أفلتت العير**. فلما أفلتت العير، وتغيَّر الحال، وأصبحوا الأن أمام جيش قد أخذ أهبته للقتال، استشار أصحابه قائلًا "أشيروا علي أيها القوم"، فقد قال أبو بكر فأحسن، وقال عمر فأحسن، ثم قام

---

57 موقع الاستاذ الدكتور مصطفى مسلم مقال دروس من غزوة بدر الكبرى. Mustafamuslim.net

58 أي الابل.

59 كناية عن الركض.

60 موضع بعد مكة بخمس ليال.

61 رواه مسلم 1779. البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 262، السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 187.

62 رواه مسلم 1901.

63 السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 61، وصححه الالباني في تخريج أحاديث كتاب فقه السيرة ص 165.

المقداد بن عمرو فقال: (يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه)، ثم قال – صلى الله عليه وسلم– "أشيروا علي أيها القوم" يريد الانصار[64]، إلى أن قال سعدُ بن معاذ وهو سيد الأوس: (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟) قال "أجل" قال: (فقد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا، ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض بنا يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله) [65].

– بل وتنازلَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن رأيه **في اختيار مَكان المعسكر**؛ عندما أشار عليه الحُباب بن المُنذِر بن الجموح رضي الله عنه – وقد كان خبيرًا بالآبار في تلك الجهة – قائلًا: (يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله تعالى لا نتقدمه ولا نتأخره، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟) قال: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، قال الحُباب: (فإني أرى أن ننزل إلى مصب ماء بدر فإني أعرف غزارته، ونبني عليه حوضًا فنشرب ولا يشربون)؛ وهذه فكرة حربية سديدة لها أهميتها الحربية حيث بذلك يكون

64 لأنهم كانوا غالبية الجيش (تقريبا 236 رجلًا)، ولانه كان يخاف ان تكون الأنصار ترى انه لا يجب عليها نصرته الا من الاعداء الذين يداهمون المدينة لا أن يخرج لملاقاة الأعداء، ولأنهم أصحاب الأرض.

65 السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 206.

الجيش دائمًا على أتصال بالماء فيشربون ولا يَستفيد منه المشركون، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مشجعًا "لقد أشرت بالرأي"[66].

وهنا نلاحظ تقبل القائد لرأي الجنود والخبراء، وكذلك شجاعة الصحابة، وحريتهم في عرض آرائهم، حتى وإن كان هذا الذي يُعارضه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع ملاحظة الأسلوب المؤدب الذي عرض به الحُباب رأيه.

(إن هذه الحرية التي ربى عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابه مكنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينجح نجاحًا باهرًا، وإن كان حديث السن؛ لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد، أو آراء عصبة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد؛ لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيش)[67].

أرجوا من كل مسؤولٍ، أو رئيس عملٍ، أو رب أسرة أن يطبق هذا المبدأ فإن فينا أكثر من حباب، ولكن ليس فيهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

التشاور حول الأسرى: نصر الله المسلمين في غزوة بدر حيث قتل سبعون من صناديد قريش وأسر سبعون منهم، فعن بن عباس رضي الله عنه قال حدثني عمر بن الخطاب فقال لما فلما أسر المسلمون

66 الاصابة لابن حجرج 1 ص 302، البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 267، السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 192، وضعفه الالباني في تعليقه على فقه السيره للبوطي 3/ 426 وقال، أحمد محمد باوزير في مرويات غزوة بدر ص 164(أن قصة الحباب رويت موصوله ومرسلة من طرق كثيرة وإن كان فيها ضعف، ولكنها قد تتقوى وترتفع عن درجة الضعف الى درجة الحسن).

67 التاريخ الإسلامي للحميدي ج 4 ص110.

الأسارى قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأبي بكر وعمر "ما ترون في هؤلاء الأسارى" فقال أبو بكر: (يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما ترى يا بن الخطاب قلت: (لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيبًا لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها)، فهوى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما قال أبو بكر رضي الله عنه [68].

– **إيقاظ روح الجهاد، وتبشيرهم، وتذكيرهم بما اعده الله للمجاهدين**: في بداية وأثناء المعركة كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينادي على جنوده، ويشد من عزيمتهم، ويشجعهم قائلًا:

– "سيروا وابشروا؛ فإن الله تعالى وعَدني إحدى الطائفتين العير أو النفير"[69]، وقد افلتت العير، فلم يبقى إلا النصر في المعركة يقينًا، فهو وعد الله.

– "والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم؛ هذا مصرع فلان قال ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا، قال راوي الحديث فما ماط أحدهم عن موضع يده – صلى الله عليه وسلم – [70].

– "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض"[71].

– "شدوا سيهزم الجمع ويولون الدبر، من قتل قتيلًا فله سلبه، ومن اسر اسيرًا فهو له".

---

68 رواه مسلم 1763في حديث طويل هذا جزء منه.

69 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 262، ابن هشام ج 2 ص 187.

70 رواه مسلم 1779.

71 رواه مسلم 1901.

– أخذ رسول الله يدعوا حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال يا نبي الله كذاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك[72]..... فقال أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب[73].

–"فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه، وابلوا ربكم في هذا الموطن أمرًا تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعد الله حق، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، اليه ألجأنا ظهورنا وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، واليه المصير يغفر الله لي وللمسلمين".[74]

**** وعلى العكس تمامًا كانت كل الظروف ضد قريش، وكل شيء يدعو إلى التشاؤم، والهزيمة، والدليل:**

رؤيا عاتكه بنت عبد المطلب[75]: قبل ثلاثةِ ليالٍ من وصول ضمضم الغفاري الذي أرسله أبو سفيان ليخبر قريشًا أن تجارتهم في خطر، رأت عاتكة في منامها أن راكبًا أقبل على بعير حتى وقف على جبل في مكان اسمه الأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث، ثم أخذ صخرة فقذف بها فسقطت وتناثرت، ودخل كل بيت من بيوت مكة قطعة منها إلا دور بني هاشم وبني زهرة[76].

---

72 رواه مسلم 1763.

73 رواه البخاري 3773.

74 محمد أحمد برانق، مجموعة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

75 اسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها.

76 هامش السيرة الحلبية ج 1 ص 423.

نتيجة الاستسقاء بالأزلام: وكان أمية بن خلف وعتبه وشيبة ابنا ربيعة وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام قد استقوا بالأزلام فخرج لهم القدح المكتوب عليه لا تفعل.[77]

رجوع بني زهرة: لما نجت العير وعلمت بذلك قريش رجعت بني زهرة، ومعهم طالب بن أبي طالب، وكانوا نحو المائة وقيل ثلاثمائة، وقال لهم قائدهم الأخنس بن شريق الثقفي:[78] (يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل - الذي كان في القافلة - وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير منفعة لكم)[79].

نزول المطر: قال ابن القيم رحمه الله: (وأنزل الله في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وابالًا شديدًا، منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلًّا طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب الرمل، وثبت الأقدام ومهد به المنزل)[80]، كان نعمة للمسلمين شربوا، واغتسلوا، وسقوا أنعامهم، وطفأ الله به الغبار، ولبَّد الأرض حتى يثبت عليها الأقدام والحوافر، بينما عند المشركين غاصت الأرض، وأصبحوا غير قادرين على الحركة.

عدم وصولهم للماء: نزل المسلمون إلى مصب ماء بدر وبنوا عليه حوضًا وآبار، فأصبحوا يشربون، ولا يصل إلى قريش وكان هذا هو رأي الحُباب رضي الله عنه.

---

77 السيرة الحلبية ج 2 ص 165.

78 اسمه أبيان بن شريق وسمي أخنس بعدما رجع بقومه في هذه الغزوة، وقد أسلم عام الفتح وشهد حنينًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

79 السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 301.

80 زاد الميعاد ج 3 ص 175.

مقتل ثلاثة من قادتهم في بداية المعركة وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة على يد حمزة وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب[81]، وفيهم نزل[82] **قول الله تعالى**: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 19-22].

مقتل أبو جهل وأمية بن خلف وغيرهم.

ومن عوامل النصر ثقة الجنود في قيادتهم ولزوم طاعتهم، وعدم الإختلاف عليه، ولذلك كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يوجه أصحابه بأن لا يفعلوا أمرًا حتى يخبروه بذلك، كما في حديث عمير بن الحمام بن الجموح: "لا يقدمن أحدكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه"[83]، وكان الصحابة يمتثلون أوامره – صلى الله عليه وسلم – وينفذونها بكل دقة.

يقول الاستاذ أبو الحسن الندوي: (لما أحبه القوم بكل قلوبهم، أطاعوه بكل قواهم)[84]، وتأمل قول سعد بن عبادة رضي الله عنه: (والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا)[85]، وقول المقداد: (لا نقول كما قال قوم موسى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا} [المائدة: 24]، ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك، وقول سعد

81 استشهد في هذه المعركة، ابن هشام ج 2 ص 251.

82 رواه البخاري 3748.

83 رواه مسلم 1901.

84 أبو الحسن الندوي، كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

85 رواه مسلم 1901.

بن معاذ (فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء)[86].

** **وعلى العكس تماما كانت قريش تحت قيادات متعددة، وكان واضحًا الانقسام، والاختلاف حول أحقية من تكون له القيادة، أبو جهل أو عتبة ولكل منهما أتباعه**، ولعل تأثير وصلابة أبو جهل كانت الأبرز، لكنه كان مستبدًّا برأيه، مستهزئًا بكل من خالفه.

أهمية الدعاء والتضرع والتقرب إلى الله في أوقات الشدة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9].

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو ربه ويستغيث به كلما نزل به كرب أو شدة، كما حدث في غزوة بدر. فعليك بإعداد العدة والأخذ بالأسباب ثم تلتجئ إلى الله بالتضرع والدعاء.

– عندما خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبلغ بيوت السقيا دعا رسول الله بقوله: "اللهم إنه حفاة فاحملهم وعراة فاكسوهم وضياع فأشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك"[87].

– وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله – صلى الله عليه وسلم – القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه "اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض" فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط

86 السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 206.

87 فما رجع أحد منهم يريد أن يركب الا وجد بعير، وأكتسى من كان عاريًا، واصابوا فداء فاغتنى كل عائل.

رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: (يا نبي الله كذاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك).[88]

- وعن علي كرم الله وجهه قال: (لما كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال، ثم جئت مسرعًا لأنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاذا هو ساجد يقول "يا حي يا قيوم" لا يزيد عليها، فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، حتى فتح الله على يديه)[89]. وهذا يدل على عظم هذه الكلمة.

** (ومع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مطمئنٌ بالنصر، إلا أنه استغرق في التضرع والدعاء وبسط الكف إلى السماء، فتلك هي وظيفة العبودية التي خُلق من أجلها الإنسان، وذلك هو ثمن النصر في كل حال).

الله تعالى يجيب دعوة المؤمنين إذا استغاثوا به ويؤيدهم بالمنح، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62]، **وقال تعالى:** ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 17]. كما حدث في غزوة بدر من نزول الملائكة تكثيرًا وتثبيتًا، وحدوث النعاس أمنة وتطمينًا، وإنزال المطر إرواءً وتطهيرًا، وقذف الرعب في قلوب عدوهم خوفاً ووهنًا، وغيرها من المعجزات والكرامات. **قال تعالى:** ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

88 رواه مسلم 1763.

89 رواه النسائي والبيهقي.

مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 9-11]، قال القرطبي: (وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم عجيبًا مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم، وكأن الله ربط جأشهم)[90]. **وقال تعالى**: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: 44]. قال ابن مسعود: (لقد قللوا في أعيننا، حتى قلت لرجل: أتراهم سبعين، قال: بل مائة). (قبل أن يلتحم القتال جعل الله المسلمين في أعين المشركين قلة ليستدرجهم للقتال، ولما التحم القتال جعلهم الله في أعينهم كثرةً ليحصل لهم الرعب والوهن)[91].

** **وعلى العكس** تمامًا جعل الله المشركين عند القتال قلةً ليقوي جأش المسلمين على القتال[92]؛ **قال تعالى**: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: "أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي :نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم و لم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة"[93].

---

90 أمير بن محمد المدري كتاب غزوة بدر الكبرى دروس وعبر ط 1 مكتبة خالد بن الوليد صنعاء ص 96.

91 تفسير ابن جريرج 3 ص 259.

92 شوقي أبو خليل، بدر الكبرى ص 83 بتصريف.

93 رواه البخاري 328.

الشيطان يخذل أتباعه: إن الشيطان دائمًا بالمرصاد للإنسان؛ يزين له المعصية حتى إذا وقع فيها تركه وتبرأ منه، ويتضح ذلك في غزوة بدر، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : لما كان يوم بدر سار إبليس برعيته وجنوده من المشركين، وألقى في قلوب المشركين أن أحدًا لن يغلبكم وإني جار لكم، فلما التقوا، ونظر الشيطان إلى مداد الملائكة نكص على عقبه، ورجع مدبرًا، وقال: إني أرى ما لا ترون)[94]، **قال تعالى:** ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 48].

المروءة والوفاء: نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن قتل أبي البختري العاص بن هشام؛ وفاءً لأنه كان أكفَّ القوم عنه وهو بمكة، وكان لا يؤذيه ولا يبلغ عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض صحيفة المقاطعة.[95]

ولقد كرمنا بني آدم: أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يوارى قتلى المشركين في القليب تكريمًا للإنسانية، وصيانة للجسد الإنساني حيًا وميتًا، ولقد كان عددهم كثير (سبعين رجلًا) فلم يستطع المسلمون دفنهم واحدًا واحدًا.

في وقوف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على فم القليب ينادي قتلى المشركين[96]، عن

---

94 تفسير ابن كثير ج ٧ ص00 ١.

95 ولكن أبا البختري قُتل؛ حيث إن المجذر بن زياد البلوي لقيه في المعركة مع صاحب له يقاتلان سويًا فقال المجذر :يا أبا البختري إن رسول الله قد نهانا عن قتلك فقال :وزميلي؟ !فقال:لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله الا بك وحدك فقال :لا والله إذن لأموتن أنا وهو جميعًا، لا تتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصًا على الحياة؛ فاقتتلا، فقتله المجذر. وزميله هو جنادة بن مليحة (السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 197).

96 د أمين بن عبدالله الشقاوي كتاب حدث غير مجرى التاريخ ص 329.

أنس بن مالك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ترك قتلى بدر ثلاثًا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال "يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا"، فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا قال "والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا"[97]، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر، قال قتادة: (أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمةً، وحسرةً، وندمًا).

"في ذلك دليل واضح على أن للميت حياة روحية خاصة به، فقد ثبت بالكتاب والسنة عذاب القبر ونعيمه، وأن الميت إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، أنه يسمع قرع نعالهم، غير أن ذلك كله إنما يخضع لموازين لا تنضبط بعقولنا، وإدراكنا الدنيوية هذه، وتجاربنا العقلية والمادية، فطريق الإيمان بها إنما هو التسليم لها بعد أن وصلتنا بطريق ثابت صحيح".

نبه الله المؤمنين إلى حقيقة هامة [98]، وهي أن لا يجعلوا حب المال يسيطر عليهم عند النظر في قضاياهم الكبرى التي قامت على أساس النظرة الدينية وحدها، مهما كانت الحال والظروف.

– حيث اختلف المسلمون في توزيع الغنائم: فقال الشبان: (الغنائم لنا لأننا هزمنا العدو بقوتنا) وقال الشيوخ: (بل إننا كنا نحمي ظهوركم) فأمرهم رسول الله أن يجمعوا الغنائم كلها في مكان واحد، وينتظرون حكم الله[99]، فانزل الله قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1].

---

97 رواه البخاري 3757 ومسلم 2874 واللفظ له.

98 د أمين بن عبدالله الشقاوي كتاب حدث غير مجرى التاريخ ص 326.

99 السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 206.

- وحينما قبل المسلمون الفداء عاتبهم ربهم مرة أخرى قائلًا: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 67].

ويقول الرواة: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - بكى حينما نزلت هذه الآية وقال لو نزل عذاب من السماء ما نجى منه إلا عمر وتمنى - صلى الله عليه وسلم - لو كان أخذ برأي عمر الذي قال بقتل الأسرى.

أخلاقيات الإسلام في معاملة الأسرى، لما فرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أصحابه قال لهم: "استوصوا بالأسرى خيرًا"، فكان الصحابة رضوان الله عليهم يوثرون الأسير عن أنفسهم بطيبات الطعام والشراب، يقول الأسير أبو عزيز بن عمير بن هاشم (كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله إياهم بنا، وما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، قال فكنت أستحيي فأردها على أحدهم فيردها علي ما يمسها)[100]، وهذا أبو العاص بن الربيع يحدثنا قال: كنت في رهط من الأنصار، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليَّ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد، وكانوا يحملوننا ويمشون[101]، وصدق الله تعالى حين يقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]، ما أقسى قلوب الكافرين وما ألين قلوب المؤمنين!!

100 رواه الطبراني في المعجم الكبير 977، السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 238-239.

101 المغازي للواقدي ج 1 ص 119.

الإسلام يهتم بالعلم ويكافح الأمية: إن الإسلام دائمًا يدعو إلى العلم، ويظهر هذا الاهتمام جليًّا في غزوة بدر عندما شرع المسلمون في قبول فداء الأسارى مقابل أربعة أو ثلاثة آلاف درهم، ومن لم يكن عنده مال من الأسرى، وكان يجيد القراءة والكتابة؛ دفع إليه الرسول عشرة من غلمان المدينة يعلمهم القراءة والكتابة، وفي ذلك تكريم للعلم والعلماء؛ اذ جعل تعليم القراءة والكتابة بمثابة فدية للنفس، ونجاتها من الموت، وكان ممن تعلم بهذه الطريقة زيد بن ثابت رضي الله عنه[102].

المسلمون يفرجون عن من لا يستطيع دفع الفدية أو تعليم غلمان المسلمين ومنهم المطلب بن حنطب بن الحارث وأبو عزة الشاعر– عمرو بن عبدالله بن عثمان الجمحي[103].

المودة والرحمه: وكان في الأسر أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي[104] – صلى الله عليه وسلم – وكانت خديجة خالته، وكان من رجال مكة المعدودين مالًا، وأمانةً، وأخلاقًا، فبعثت زينب لتفدي زوجها بقلادة لها كانت أمها السيدة خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، فلما رأها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رق لها رقة شديدة، وقال: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا" ففعلوا، فكان ممن أُفرج عنه بدون فدية[105]، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – مع وفائه الشديد لزوجته خديجة إذ رق عندما رأى أثرًا من آثرها؛ ترك لهم الخيار فيما يرونه مناسبًا.

أن الله تعالى يعوض المؤمن ويخلف عليه في ماله، إذا علم منه الصدق وحب الخير، فهذا ما حدث في قضية العباس، ومن معه من الأسرى في غزوة بدر، فإن الله أخلف على العباس فيما دفعه من الفداء،

---

102 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 312.

103 كان قد أخذ عليه عهدًا الا يقاتل الملمين مرة ثانيه لكنه نقض العهد ووقع اسيرًا في غزوة أحد فأمر رسول الله عاصم بن ثابت فقتله.

104 أسلم قبيل فتح مكة رضي الله عنه.

105 رواه أبو داود، نقلا عن مرويات غزوة بدر، أحمد محمد باوزير ص 334.

ووعدهم سبحانه بالمغفرة في الآخرة، **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: 70].

قال العباس (في والله أنزلت حين أخبرت رسول الله عن إسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي وجد معي، فأبى أن يحاسبني بها، فأعطاني الله بالعشرين أوقية عشرين عبدًا كلهم تاجر بمالي في يده، مع ما أرجوا من مغفرة الله).[106]

المسلمون يبادلون الأسرى: وكان ممن أسر في هذه الغزوة عمرو بن أبي سفيان بن حرب، وقد رفض أبوه أن يفديه لِمَا أصابه من الهم والحزن، وقال: (أيجتمع علي دمي ومالي؛ قتلوا حنظله وأفدي عَمرًا)، وبينما هو في الأسر إذا بسعد بن النعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف خرج من المدينة معتمرًا، وقد كان عهد قريش ألا يتعرضون لأحدٍ جاء حاجًّا أو معتمرًا، فغدا عليه أبو سفيان بن حرب وحبسه بأبنه، فمشى بني عمرو إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسألوه أن يعطيهم عمرو ليبادلوه بسعد، فأعطاهم رسول الله عمروٌ بدون فداء[107].

علو منزلة أهل بدر على غيرهم من الصحابة: (إن الصحابة الذين شهدوا غزوة بدرهم الذين اصطفاهم الله على غيرهم من المؤمنين، وذلك لأن غزوة بدر كانت هي المفتاح لوصول الإسلام إلى البشرية جمعاء، وأصحاب بدر هم النجوم المضيئة في التاريخ الإسلامي، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده المؤمنين)[108].

---

106 رواه الطبراني في المعجم الكبير 11398.

107 البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 311.

108 أمير بن محمد المدري كتاب غزوة بدر الكبرى دروس وعبر ط 1 مكتبة خالد بن الوليد صنعاء ص 85.

وذلك في قصة حاطب بن أبي بلتعة عندما أرسل كتابا مع امرأة إلى أهل مكة يخبرهم بخروج النبي – صلى الله عليه وسلم – إليهم وأخبر الوحي بذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأرسل رسول الله علي بن ابي طالب، والزبير، والمقداد ليأتوا بهذا الكتاب من هذه المرأة قبل ان تصل به إلى قريش، فعن علي كرم الله وجهه قال: (فأتينا به رسول الله)، فقال عمر: (دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق)، فقال: " انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " فدمعت عينا عمر وقال: (الله ورسوله أعلم).[109] وعن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدر من الملائكة"[110]. وعن جابر رضي الله عنه قال: أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يشكوا حاطبًا وقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية"[111].

(**إن من طبيعة الداعية الصادق أن يحرص على هداية أعدائه**، ومن هنا نفهم سر ميل رسول الله إلى فداء الأسرى، فقد كان يرجوا الله أن يهديهم، وأن تكون لهم ذرية من بعدهم تعبد الله. وفعلا أسلم من الأسرى عقيل بن أبي طالب (عام الحديبية)، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب (أسلم لما أسر وقيل عام الخندق)، وأبو العاص بن الربيع (قبيل فتح مكة)، أبو وداعة الحارث بن ضيرة، وأبنه المطلب (أسلما يوم فتح مكة)، وعبد الله بن أبي بن خلف (يوم الفتح)، ونسطاس مولى أمية بن خلف (بعد أحد)، ووهب

109 رواه البخاري 3762 واللفظ له، ومسلم 2494.
110 رواه البخاري 3771.
111 رواه مسلم 2495.

بن عمير الجمحي، وأبو عزير بن عمير، وسهيل بن عمرو، والسائب بن عبيد الله بن عبد يزيد، وخالد بن أسيد بن أبي العيص، وعبد الله بن زمعة، وخالد بن هشام، والسائب بن أبي حبيش، وابنه عبد الله، والمطلب بن حنطب[112].

أن الهداية بيد الله، يهدي من يشاء بفضله[113]، ويضل من يشاء بعدله، فقد هدى الله كثيرًا ممن قاتل في صفوف قريش في غزوة بدر مثل عقيل بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وأبو العاص بن الربيع، وأبو عزير بن عمير، وحكيم بن حزام، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، بل إن بعضهم أصبح من قادة المسلمين الذين شاركوا في معارك فاصلة ضد الكفار؛ مثل عكرمة بن أبي جهل، وخالد بن أسيد بن أبي العيص وغيرهم؛ وبعضهم مات شهيدًا مثل عبد الله بن أبي بن خلف (استشهد في معركة الجمل)، وسهيل بن عمرو؛ وبعضهم أصبح من علماء المسلمين مثل عبد الله وقيس ابنا السائب وهما استاذان لمجاهد بن جبير، والسائب بن حبيش بن المطلب وأبنه عبد الله وقد قال فيه عمر بن الخطاب (ذاك رجل لا أعلم فيه عيبًا)، وقد أخذ أهل مكة عنه القراءة، بل أن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد هو جد الأمام الشافعي رضي الله عنهم جميعًا [114].

112 شوقي أبو خليل، بدر الكبرى ص 209-211.

113 د أمين بن عبدالله الشقاوي كتاب حدث غير مجرى التاريخ ص 332.

114 الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 127.